حتى اقدم ابنهُ الى ابينا ليصلي عليهِ لان الولد كان لهُ نحو ثلاث سنين في مرض عجز عن شفائهِ الاطباء. وكل من كان ينظره كان يحسبه من الموتى. فانا ما تجرأت ان اقدم الصبي الى ابينا بل ارشدت والدهُ اليهِ كأنهُ جاء الى عنده في شغلة وبهذه الواسطة ابونا يصلي عليهِ وهكذا صار. فدخل ابو الصبي الى عنده وبدأ يكلمه وبعد برهة قليلة اخذت انا الصبي وادخلتهُ عندهم وكان قولي: «الصبي يريد اباهُ» وبعد قليل شرت على ابي الصبي حتى يطلب الصلوة لابنه من الرئيس فصلى عليهِ وبعد صلاته بزمان قليل جداً برئ الصبي وانا اكلت التوبيخة بقوله لي: امش مستقيماً ولا تتربك عليَّ ولا على غيري (لها بقيَّة)

زلَّة الشبيبة

للاب لويس فؤاد البسوعي

على بضع ساعات من سان فرنسيسكو قرية صغيرة فيها ابنية معدودة يقطنها نفر يسير من اغنياء كاليفورنية وفي جملة سكان هذه القرية سيد يبلغ الستين من العمر يقال لهُ المركيز دي مُرتاغ كانت زوجتهُ قد توفيت من مدة وتركت لهُ ثروةً واسعة من الاموال والعقار ولمَّا لم يرزقهُ الله ورثاً ينتقل اليهِ مالهُ بعد وفاته جعل الفقراء موضوع عنايته واهتمامه. فكان اولو الفاقة يفدون الى قصره مستعصمين بجوده فيفيض عليهم سجال احسانه

وفي ذات يوم نزل عنده فتى غريب فدنا منهُ ورفع قبعتهُ مسلماً. وكان الفتى في عنفوان الشباب مشرق الجبين تنبئ عيناهُ السوداوتان عن نباهة وذكاء غير ان صاحب البيت استغرب صورتهُ فسألهُ ان يعرّفهُ بشخصهِ. قال: اسمي هنري لانور. ثم قدّم للمركيز رسالة بعنوانهِ فتحها واذا هي من اعزّ اصدقائهِ السيد جاك اروست احد اعيان سان فرنسيسكو يُوصيه فيها بالشاب هنري وكان هنري وُلد من والدين رقيقي الحال لم يقسم الله لهما ان يتمتَّعا بمشاهدة ابنهما طويلاً فتوفي كلاهما وتركاه لطيماً لا سند لهُ غير احد معارف عائلتهِ المسكينة السيد جاك المذكور الذي تكفَّل بتثقيفهِ. فلمَّا اتمّ الولد دروسهُ ولم يتيسَّر لهُ الحصول على مصلحة يرتزق منها فكَّر قيِّمهُ السيد جاك بصديقهِ المركيز دي مرتاغ ليمدَّ اليهِ يد المساعدة ويرشدهُ الى عمل يعيش منهُ فاتَّخذه

هذا معيناً له في شؤونه ونظمهُ في سلك عمالهِ فشكر له الفتى فضلهُ بارق العبارات وكان المركيز يأويهِ في غرفةٍ من قصرهِ ويحسبهُ كأحد ابنائهِ

غير ان معاشرة المركيز واهلهِ لم تكن تلذُّ الشاب هنري لأن نفسهُ الامَّارة كانت تدفع بهِ الى الملاهي فاطلق لها العنان وجعل يتوق الى ارتشاف كأس الملاذ والقامرة. فما لبث ان تقرَّب من بعض الشبان ممَّن عدلوا عن سنن الآداب فكان يقضي معهم الليالي في فُندق بإزاء القصر يعاقرون الخمرة ويتجاذبون الاحاديث البذيئة والاغاني الخلاعية. ولم يمض يسير على هنري حتى صرف ما كان قد خصَّصهُ لهُ المركيز لمائه فسمع صوت ضميرهِ ينكِّب بهِ عن اولئك الرفقاء الاشرار وقد تبيَّن السمَّ الناقع في صدورهم لكنَّهم لم يزالوا يدالسونهُ ويبعثونهُ الى المصارين الباهظة وهو يستحي بان يقرَّ بقلَّة ذات يدهِ. فاخذ يستدين من هذا وذاك حتى تثاقلت على عاتقه الديون وما عادت تأتمنهُ الصيارفة فتقرضهُ شيئاً من الدراهم ولا بابلغ ربا

وفي احدى الليالي اذ كان هنري صفر اليدين لا يملك فلساً وهو قد وعد رفقته ان يقوم بنفقات ليلة ساهرة استفزَّهُ شيطان المال فانساب الى صندوق المركيز وتناول منهُ ما سدَّ بهِ حاجتهُ ثم استمرَّ يختلف اليهِ يوماً بعد آخر وفي ظنهِ ان صاحب المال لم يدرِ بالخديعة لكنَّ ربَّ البيت كان داهيةً فضلاً عن تحنُّكهِ بالامور لا يخفى عنهُ شيء من احوال عاملهِ. فسكت أياماً عنهُ الى ان اتَّضح لهُ امر خيانتهِ كوضح الشمس فاعتزل في احدى مقاصير دارهِ واستدنى الخائن وقال لهُ انَّ لديه سراً يرغب بان يبوح بهِ اليهِ. وكأني بهنري قد تبيَّن مقصود المركيز وشعر بوقوفهِ على دقائق صدرهِ فارتعدت فرائصهُ وامتقع لونهُ. فقبض اذ ذاك دي مرتاغ على يد الشاب المرتجفة وحدَّق اليهِ بنظره اللحَّاظ ولبث هكذا برهةً ثم قال: انصت اليَّ يا هنري وأياك ان تقاطعني حتى افرغ من الكلام... لقد تحقَّقت من مدَّة ان يداً اثيمة اختلست جانباً عظيماً من الدراهم في صندوق مالي. ولعلَّ اللص ظنَّ اني لم اعرفهُ لكنهُ خُدع بظنهِ

فصرخ هنري متلجلجاً: وهل تزعم اني...

— لا تقاطعني حتى انهي حديثي. نعم عرفتُ السارق وما هو غيرك وقد وقعتُ على سندات زوَّرتها ولكني آثرتُ ان اكتم امرك حيناً واسبل الستر عنك لعلَّك تنقاد الى صوت ضميرك فترعوي عن اثمك وتنيب الى ربِّك فكأني بك حسبت طول اناتي تنشيطاً

لمواصلة السرقة فلم يبقَ الَّا ان ألقي القبض عليك فاودعك السجن ريثما يحكم القضاة في امرك . فلا بد من تسليمك لولاة الامر . امَّا هنري فلمَّا طرق هذا الكلام اذنيه اظلمت الدنيا في عينيه وكاد يسقط مغشيًّا عليه . وبقي واجمًا كأنَّ صاعقةً صعقتهُ . فلم يجد لنفسهِ منجاة من بلائهِ الَّا ان يقرّ بذنبهِ ويطلب الصفح من سيّدهِ فانطرح على اقدام المركيز يقبلهما وصرخ بصوت تخنقهُ العبرات : ارحمني سيدي ارحمني انا السارق . . لقد اوقعني اصحاب السوء في حبائلهم وبلغوا مني امالهم فجرى ما جرى

قال لهُ المركيز وقد احسَّ في نفسهِ رحمة للشقي : اتعاهدني يا هنري بان تنبذ عادتك السيئة ولم تعد الى السرقة ما دمت حيًّا ؟ . فاخذ هنري على نفسه العهد الاكيد انهُ لا يعود فيمدُّ يدهُ لاختلاس فلسٍ ولو قضت بهِ الضرورة الى مقاساة الموت

فاكتفى المركيز بقولهِ ورضي بان يطلق سراحهُ بل وعدهُ بانهُ يكتم جريمتهُ ما سار في طريق الاستقامة وتقوى الله لكنَّهُ لم يشأ ان يبقيهُ في خدمتهِ . ثم اخذ ينصحهُ بكلام مفعم انسًا ورقَّة ويزوّدهُ بالمشورة الطيّبة . وممَّا اشار اليهِ بهِ خصوصًا ان ينكب عن رفقة السوء الذين ألقوا بهِ في هوَّة الاثم . وختم المركيز كلامهُ بهبة من المال تبرَّع بها على هنري ليفي ديونهُ ويعود الى سان فرنسيسكو حيث يجد لهُ بحسن سجاياهُ عملًا يرتزق منهُ

فشكر هنري المركيز وقسم لهُ بأوكد الأيمان بانهُ سيقوم بوصاتهِ ويسير على مشورتهِ ثم ودَّع المركيز وانصرف تحت الظلام الى حيث ترى

*

مضى على ما روينا سبع سنوات ترقَّى في مطاويها الشاب هنري لانور الى مراقي العزّ وذروة المجد على ما لم يكن يخطر على بال وهاك خلاصة امرهِ :

لمَّا وافى هنري حاضرة سان فرنسيسكو بقي أيامًا متحيّرًا في امرهِ لا يدري الى من يلتجئ حتى صرف آخر دولار كان اعطاهُ اياهُ المركيز دي مرتاغ فانطلق حينئذٍ الى احد مديري معامل العاصمة يدعى مارتيناس فعرض عليهِ حالتهُ وطلب منهُ ان يستأجرهُ بقوته اليومي الى ان يستدلّ على مقدرتهِ وكفاءتهِ . فرضي مارتيناس ونظمهُ ضمن عمَّالهِ ليجرّبهُ فما عتَّم ان وجد الشاب فهيمًا نشيطًا ذا حصافة عقل وثقوب ذهن فعيّن لهُ

راتباً حسناً تمكّن به هنري ان يصلح حالهُ ويتّخذ لهُ غرفةً في احد فنادق المدينة

ثم انكبَّ هنري على الشغل متفانياً في خدمة صاحب المحلّ وهو يظهر له من خلوص النيَّة والحنكة في التدبير ما حبَّبهُ اليهِ فجعل مارتيناس يقدّمهُ بين عمالهِ يوماً بعد يوم حتى رسخت قدمهُ وزاد نفوذهُ وربح مالاً واسماً قرَّبهُ من وجوه سان فرنسيسكو

وكان في معمل السيد مارتيناس رجلٌ اسمهُ اندرو حديد الفؤاد مرهف الذهن اتّخذهُ صاحب المحلّ كناظر اعمالهِ لما عرف من فهمهِ على انَّ المذكور كان معجباً بنفسهِ شديد الغطرسة جافي الطبع وكان مع ذلك قليل الدين لا يخشى من المجاهرة بمعاكسة ارباب وكان المظنون انهُ احد المتوظفين في الشيع السريَّة. فلما رأى اندرو ما كان عليهِ هنري من توقُّد الفهم وذكاء القلب همَّ باستمالتهِ وجذبهِ الى آرائهِ. فكان الشاب يتحايد عنهُ اوَّلاً على قدر طاقتهِ وهو يتذكَّر وصايا المركيز دي مرتاغ اذ حذَّرهُ من الرفقة الاشرار. لكنَّ اندرو لم يزل يتأثَّر اعتابهُ ويتقرَّب اليهِ بالمواعيد ويخدعهُ بالاماني الطيِّبة والتقدُّم في المصالح والارباح الطائلة حتى اضعف عزيمتهُ واستمال قلبهُ. ثم عرض عليهِ ابنتهُ ليقترن بها فقبل وكان هذا الزواج كقيد جعل هنري طوع ارادة اندرو فنظمهُ بعد مدَّة في سلك جمعيَّتهِ السريَّة فصار بعد قليل من اعضائها العاملين يكتب ويخطب في بثّ المبادئ الكفريَّة ويسعى في مقاومة الدين وتنكيس اعلامهِ

وكان المركيز دي مرتاغ سمع بما آل اليهِ هنري لانور وكيف نسي وعدهُ وحنث بأيمانهِ فامتعض لذلك ايَّ امتعاض. فكتب اليهِ رسالةً وداديَّة يذكّرهُ بقسمهِ انهُ يحسن السلوك و يجتنب ذوي الالحاد ورفقة السوء. فأثَّر الكتاب في هنري بعض التأثير لكنَّهُ أنف من الرجوع الى الوراء فصمَّم سمعهُ دون وصيَّة سيّدهِ ومزَّق الكتاب لئلا تكون معاينتهُ لهُ كنخاز لضميرهِ وواصل ما انهُ من الاعمال السيئة

ثم رزق الله هنري في تلك الاثناء ولداً ذكراً دعاهُ شرل فنما الصبيّ وترعرع حتى كاد يبلغ الخمس من عمره. وهو متوقد الذهن تلوح على وجههِ ملامح النجابة والذكاء. فكان يجري كلُّ شيء على غاية ما يبتغيهِ هنري الحظ أليفهُ والسعد حليفهُ

وكانت تلك السنة السنة الخامسة والعشرين لانشاء الكنيسة الكاثوليكيَّة في سان فرنسيسكو والجلوس اوَّل اسقف كاثوليكيّ على كرسيّها فعزم الكاثوليك ان

يقيموا بهذه النسبة اعيادًا شائقة في تلك الحاضرة فاعدُّوا مؤتمرًا دعوا اليه اعيان الكاثوليك من انحاء اميركة والشاروا الى مشاهير الخطباء ان يُلقوا في اثناء تلك الحفلات الخطب البليغة يبعثون فيها الهمم الى المشروعات الخيريَّة وتعزيز المساعي الدينيَّة. وكان المركيز دي مرتاغ مشهورًا بعارضته وطلاقة لسانه وسموّ مداركه فوكلوا اليه ان يخطب في احد ايام المؤتمر الحافلة فلبَّى الدعوة شاكرًا

فلمَّا كانت اوَّل ايَّام ايلول من السنة ١٨٨٢ اجتمع عدد وافر من نخبة كاثوليك اميركة في سان فرنسيسكو وافتتحوا المؤتمر برونق لا نظير له وكان اهل المدينة يتقاطرون الى تلك الحفلات ويشتفون آذانهم ببلاغة خطبائها وكانت كلّ الجرائد على اختلاف نزعاتها تثني على هذا المؤتمر وتطريّ اعماله لم يُستثنَ منها الَّا جريدة او جريدتان عُرفتا بروحهما العدائيّ للكنيسة. لكنَّ الجميع كانوا ينتظرون بفروغ الصبر الحفلة الكبرى التي يخطب فيها المركيز دي مرتاغ

وكان اعداء الدين يعاينون تلك الحفلات وفي قلوبهم تغلي مراجل الحقد والشحناء على انهم كانوا يتوقعون شرًّا اعظم من الحفلة الكبرى التي يتسنَّم فيها منبر الخطابة ذلك المقوال المفوَّه المركيز دي مرتاغ فتفاوضوا بينهم ليجدوا وسيلةً لاستدراك الامر فلم يجدوا لمعاكسة الحفلة الكاثوليكيَّة الَّا اقامة مأدبة في ذلك اليوم يدعون اليها اعيان البلد ويخصونها بخطاب في خذلان الدين وارباب. فصادقوا على ذلك وعهدوا الى هنري لاتور بالقاء الخطاب بين الحضور فرضي شاكرًا واختار كموضوع كلامه «مساوئ الكنيسة الكاثوليكيَّة» وفي اليوم التالي اطلعوا الامر في اعمدة الجرائد المحليَّة مع ذكر اسم الخطيب وموضوع خطابه. فاثر هذا الخبر في اهل المؤتمر ورأوا فيه نيَّة سيئة من اعداء الدين ليلقوا الشكوك في البلد ويثيروا الفتن على اهل الدين

اما المركيز دي مرتاغ فلمَّا قرأ اسم هنري لاتور اخذهُ الدهش من امره وكان منذ بضع سنين قد انقطعت بينهما المراسلات فلم يعلم ما جرى لعامله القديم. فاماط الاعلان المنشور في الجرائد الستر عن مكنون احواله وفهم المركيز انهُ وقع في اشراك الملحدين ورفقة السوء الذين حذَّرهُ منهم. فتفكَّر في امره مليًّا حتَّى الهمهُ الله طريقةً لرد كيدهِ في نحرهِ فانهُ ارسل من ساعتهِ نبأ برقيًّا الى عامله في نيويورك ليأتي اليه سريعاً باوراق سريَّة كان يحفظها في احدى مصارف تلك المدينة وهي رابط الجاش مداوماً

على اعمال المؤتمر كأنهُ لم يدرِ بما يعدُّهُ الزنادقة من المعارضة لهُ يجيب من يباحثهُ في ذلك انَّ الله على كل شيءٍ قدير فيقوى على خذلان اعداء الدين مهما هاجروا وماجروا وطغوا وبغوا

وكان عامل المركيز دي مرتاغ رجلًا هماماً اطوع لسيدهِ من بنانهِ فمن ساعتهِ احتقب اضابير الاوراق المطلوبة وركب قطار السكة الحديديَّة فحضر سان فرنسيسكو في ضحى اليوم السابق لاجتماع المؤتمر الحافل

وكان حزب المعادين في تلك الاثناء اعدُّوا كل لوازم الدعوة واستأجروا لهذه الغاية اكبر نوادي العاصمة . امَّا هنري فاستفرغ كنانة جهدهِ لتأليف خطبة رنَّانة أشربها من روحهِ سمًّا على اهل الدين ينفثهُ في قلوب السامعين ثمَّ ينشره في الجرائد الاميركيَّة . وكان كل اهل المدينة في انتظار لما سيجري في غدٍ بين الحزبين فمنهم من يبشر الكاثوليك بالنصر ومنهم من ينسب الفوز لاعدائهم

فلمَّا خيَّم الليل على سان فرنسيسكو ركب السيد دي مرتاغ عجلة وسار مستخفيًا الى بيت هنري لانور فطلب مواجهتهُ دون ان يبوح باسمهِ . فأُدخل الديوان واذا بصاحب البيت قد تقدَّم لاستقبالهِ . فلما عاينهُ هنري اضطرب لدى رؤياه لكنَّهُ تجلَّد واشار اليهِ بالجلوس فاندفع المركيز قائلًا :

اخالك نسيتني يا هنري انا المركيز دي مرتاغ الذي اريتك مدَّة في قصري

— نعم وانا لا ازال شاكرًا لك فضلك وهل يمكنني ان اقدم لجنابك خدمةً ؟

قال المركيز : كنت وعدتني يا هنري عند مفارقتي بانك لا تعود تباشر اهل السوء

— ومن هم الذين تعيِّرهم بهذا الاسم

— هم جماعتك الذين ستقوم فيهم خطيباً يوم غدٍ و . . . . .

فلما سمع هنري هذا الكلام قاطع المركيز وقام كأنهُ يريد الباب وقال : لا احبُّ انَّ احدًا يتداخل في اموري ويدخل بيتي ليشتمني ولولا كرامة الضيف لفعلت بك كيت وكيت

اجاب المركيز : على رسلك يا هنري ولا بُدَّ لك قبل أن اخرج من دارك ان تعدني الوعد الوكيد بأنك يوم غدٍ تكفُّ عن خطابك

— اني افعل ما اشاء وليس لاحد ان يتعرَّض لي في شؤوني

ففتح المركيز قطراً كان معهُ واخرج منهُ سندات مزوَّرة نشرها امام هنري وقال : اتعرف هذا التوقيع ؟ . . . . .

فسكت هنري وتبدَّلت سحنتهُ كأنَّ مديةً نفذت في قلبهِ فلم يحرْ جواباً

فاردف المركيز : اعلم يا هنري انك ان امتنعت عن خطابك فيهِ والَّا الجأتني الى ان انشر خبرك على رؤوس الملأ فيعرف كل اهل سان فرنسيسكو انك الخائن السارق وتُلقى في السجن بقيَّة حياتك

— ولكن كيف اتخلَّف عن وعدي بالخطاب وشرف اسمي يقتضي مني ذلك

— يطلب منك الشرف ان لا تجاهر بالغدارة الدين وذويهِ وانت تعلم انَّ كلامك محض اختلاق ليس فيه ذرَّة من الحق

— لا يمكني ان انكث بوعدي

— الامر امرك فلا تَلُم غير نفسك ان حلَّ بك سوء . ثم توجَّه المركيز الى الباب فامسكهُ هنري قائلاً : ارحمني سيدي وارحم قرينتي وابني وليس لهما عضد غيري

— بل ارحم نفسك وارعَ تائباً الى ربك

— او صمَّمتَ على نشر هذه الاوراق ؟

— بلا شكّ

— فاولى بي إذن ان انتحر فاخلص من احد شرَّين لا مناص منهما . قال هذا ثم اسرع فاخذ غدَّارة وقال للمركيز : « الوداع يا مركيز واعلم انك انت قاتلي »

ثمَّ صوَّب الغدارة الى رأسهِ فوثب المركيز عليهِ وانتشل من يدهِ الغدَّارة صارخاً « بل عش مهنَّأ وابقَ لابنك ولقرينتك واعلم انَّ الكاثوليكي اكرم منك نفساً » واستخرج الاوراق المزوَّرة ثمَّ احرقها في لهيب قنديل كان هناك وخرج قائلاً : « استودعك الله يا هنري ولست ارضى بحكم بيننا غيرهُ تعالى فهو ينصفنا »

ثمَّ توارى عنهُ . وكان هنري رأى ما فعل المركيز وسمع كلامهُ الاخير وهو لا يعي من دهشتهِ . وبقي هنيهةً بعد خروجهِ لا يعلم اهو حيٌّ او ميت . فلمَّا عاد الى نفسهِ وادرك شرف نفس المركيز ومروءتهُ هطلت بوادر دمعهِ وبقي ساعةً تخنقهُ العبرات . فلمَّا سكن جأشهُ قام الى غرفتهِ فكان اوَّل ما وقعت عليهِ عينهُ نسخة خطابهِ الذي اعدَّه لغدٍ فثار ثائرهُ واخذ الخطاب ومزَّقهُ واحرقهُ كما فعل المركيز بالسندات المزورة وقال :

لا اكون اقلّ مروءة من المركيز وها هوذا قد انقذني مرّتين من الذل والهوان. ثمّ ايقظ امرأتهُ وامرها بان تهيّئ حالها للسفر وفي ساعتهِ جلس هو وكتب الى المركيز رسالةً يشكرهُ فيها على صنيعهِ ويطلب منهُ الصفح عن سوء سيرتهِ ويعدهُ انهُ منذ اليوم سوف يضحي مثالًا للاستقامة وقدوةً للجميع وانهُ يسبق المركيز الى قصرهِ حيث يتخذهُ هناك كدليلهِ في سبل الخير وكمرشدهِ في كل عمل مبرور

*

بزغت شمس اليوم الرابع عشر من ايلول في بهائها وروقها. وكان اصحاب المؤتمر الكاثوليكي قد اجتمعوا صباحاً فاجروا في الكنيسة الكاتدرائية ربّاً فخيمة تولّاها رئيس الاساقفة ثمّ خرج القوم الى ردهة الخطابة فغصّت بعد قليل بالحضور: وورقي المخبر السيد دي مرتاغ فخطب في الدين ومشروعاتهِ خطبةً انست الخطب السابقة بلاغةً فكاد السامعون يطيرون لرشاقة معانيها وقابلوها بتصدية الايدي الف مرّة

اما نادي الجمعيات السرية فكان اهلهُ زيّنوهُ باصناف الزينة والرموز وهم يؤملون نجاحاً لا مثيل لهُ. فلمّا حانت الساعة وحضر المدعوّون طلب المقدّمُ هنري لانور لاستقبال الناس فلم يجدهُ: فارسل رجلًا يستقدمهُ ويستنهض همتهُ فوجد الدار مقفلةً ليس فيها ديار. فسأل الجيرة عن امرهِ فلم يعلموا ما يجيبونهُ بهِ غير انهم وجدوا عند بابهِ رسالةً باسم رئيس المحفل فاخذها الرجل وعاد الى مجلس المدعوين وكانوا في اثناء ذلك جلسوا على المائدة يأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً. فسلّم الالوكة الى الرئيس فما كاد هذا يقرأ اسطرها الاولى حتّى تنمّر غيظاً وقام في وسط المدعوين قائلًا: «ايها الاخوة قد خاننا الخطيب وولّى من المدينة هارباً ولست اعلم ما جرى لهُ»

وقع هذا الكلام على قلوب الحضور وقع سيول الماء على لهيب النار فهدأت الاصوات وخمدت جلبة القوم فخرجوا بعد قليل مخذولين نواكس الرؤوس يودّون لو لم يُدعَوا الى تلك الحفلة المشؤومة التي البستهم ثوب العار

وبعد يومين عاد المركيز دي مرتاغ الى وطنهِ فارسل واستدعى هنري لانور وسلمهُ ادارة معملهِ كما كان في معمل السيد مرتيناس فادّى لهُ هنري الشكر على فضلهِ وانقطع الى خدمتهِ بنشاط لا يعرف الملل ولم يلبث أن نبذ تعاليم الكفر وعاد الى اتمام واجبات الدين فذاق من راحة القلب ما كان فقدهُ منذ ابتعادهِ عن ربهِ. وما زال هو وعائلتهِ

يودّعون يوم فرح ويستقبلون مثلهُ وكان هنري يكرّر مرارًا على ولده « اياك بنيَّ وزلّات الشبيبة فانّها تعمي العقل وتضرب على البصيرة وتؤدي بالمرء الى اقطع المآثم. فلولا نعمة الله ورحمتهُ بي لكنتُ الان في هوّة البؤس والتعاسة »

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

ثم انهُ في ثاني الايام. بعد ما عملوا لنا كل اكرام. اخذونا الى مكان المنتدام. قد راق ماؤهُ. وزاد صفاؤهُ. واعتلّ هواؤهُ. وتطرّت ارجاؤهُ. وتلامعت حصباؤهُ. وفيهِ من لطف النسيم. ما يشفي السقيم. ويداوي جرح الكليم ويغني عن الحكيم. ويحيي الميت الرميم حتى حسبناهُ من فردوس النعيم. وفيهِ ما يدهش الابصار. ويحير الافكار. من اشجار واثمار وازهار وانهار. وتغريد الاطيار ليلًا ونهار. حتى خلع كل منا العذار دون شرب العُقار. لانهُ ما ناح الحمام. الّا وزاد الغرام. وما بخت القماري. الّا وازاحت اكداري. وما صدحت البلابل. الّا وهاجت البلابل. وما صوّت الشحرور. الّا وجلا همّ الصدور. وما سجع الهزار. الّا واثار الافكار. وحرّك التذكار للديار ونظم الاشعار:

لقد زاد الجوى صوتُ القماري وذكرني الاحبّة والديار
وتغريد الحمام اذا تبدّى بدا فينا الهيامُ الى الديار
وقلت لرفقتي يا قوم هانوا لنغتنم المنى في ذي الصحاري
فدارت بيننا كاسات راحٍ وريحانٍ وورد مع عُقار
وقد ضرب الغمام لنا خيامًا سرادقها كست تلك البراري
ومرّ بنا نسيم البان لمّا ابان لنا صبابة ذا التهار
وقد ذرفت عيون السحب درًّا كما زهر الربى حال الفخار
وكللها بياقوتٍ ثمينٍ وتيجان اللجين مع النضار
فنمّ اريجها في القطر طرًّا وعطّر نشر هاتيك القفار
وذكرني شذا الشهباء لمّا يضوع عبيرهُ وقت السحار
فحيّا الله تربتها وماها وطيب نسيمها كل النهار
وحيّا اهلها اهلًا كرامًا ذوات الفضل عنوان الفخار